

أضواء البيان

@ 169 آيات هذا الكتاب فصلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يعبد الله وحده ، سواء قلنا إن (أنه) هي المفسرة . أو أن المصدر المنسبك منها ومن صلتها مفعول من أجله ، لأن ضابط (أن) المفسرة أن يكون ما قبلها متضمناً معنى القول ، ولا يكون فيه حروف القول . . . ووجهه في هذه الآية أن قوله : { أُوْحِّدْ كَمَتَّ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } فيه معنى قول الله تعالى لذلك الإحكام والتفصيل دون حروف القول ، فيكون تفسير ذلك هو : { أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } . . .

وأما على القول بأن المصدر المنسبك من (أن) وصلتها مفعول له فالأمر واضح ، فمعنى الآية : أن حاصل تفصيل القرآن هو أن يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيء . ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء : { قُلْ إِنْ زَرَّمْتَ آيُودَىٰ إِلَىٰ سَمِّ زَرْمٍ لَا هَٰكُمُ إِلَّا هُوَ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ } ومعلوم أن لفظة (إنما) من صيغ الحصر ، فكأن جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى (لا إله إلا الله) وقد ذكرنا في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) . أن حصر الوحي في آية الأنبياء هذه في توحيد العبادة حصر له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع ، لأن شرائع الأنبياء كلهم داخلية في ضمن معنى (لا إله إلا الله) لأن معناها . خلع جميع المعبودات غير الله جل وعلا في جميع أنواع العبادات ، وإفراده جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات ، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية . . .

والآيات الدالة على أن إرسال الرسل ، وانزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحده كثيرة جداً ، كقوله : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوعَ } ، وقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنْ زُكِّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنْزَلْنَا فَعَابِدُونَهُ } ، وقوله : { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . . .

وقد أشرنا إلى هذا البحث في سورة الفاتحة ، وسنستقصي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في سورة (النِّسَاس) ، لتكون خاتمة هذا الكتاب المبارك حسنى . قوله تعالى : { وَأَنْرِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَّعَكُمْ } مَتَّعَكُمْ حَسَنًا إِلَّا لِيَ أَجَلٍ مُّسَمًّى } . هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يتمتع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى . لأنه رتب ذلك

على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء